

خاتمة

في ظل هذا البحث نؤكد ضرورة الاستفادة من تجربة المستشرقين في خدمة التراث العلمي العربي وتحقيقه ، وتجاوز النقائص والعيوب التي وقعوا فيها . ولذلك فإن محقق التراث العلمي يجب أن تتوافر فيه الشروط أو الصفات الآتية :

- ١ - أن يكون عالماً بموضوع النص الذي يحققه .
- ٢ - أن يكون عارفاً بالأساليب المتبعة في معالجة ذلك الموضوع ، والأسلوب الغالب على العصر الذي ينتمي إليه ذلك النص ، من ناحية صياغة الجملة ، والمفردات الشائعة ، والأخطاء الغالبة .
- ٣ - أن يكون متمرساً بقراءة الخطوط المختلفة ، مشرقية ومغربية ، أو على الأقل خطوط تُسخ النص التي بين يديه .
- ٤ - أن يكون متمكناً من اللغة العربية ، لاسيما اللغة العلمية والمصطلحات الخاصة التي استعملها علماء العرب .

ومن البديهي أن يتعرض المحقق لدراسة النص - موضوع التحقيق - على أسس علمية صحيحة ، ولمناقشة كل النظريات والأفكار العلمية التي يحتوي عليها النص المحقق وتحليلها ، ولمقارنتها بالنظريات والنتائج العلمية الحديثة والمعاصرة ، وذلك بهدف تحقيق التراث العلمي بصورة علمية دقيقة ، حتى يكون بمثابة الخلفية الضرورية التي تمكننا من مسايرة تطور الفكر العلمي المعاصر بكل ما يطرحه من إشكاليات نظرية وعملية ، من ناحية ، وتجعلنا أقدر على بناء فكرنا المعاصر وصنع تراثنا الخاص من ناحية أخرى .

* * *

تعقيبات ومدخلات

■ د. ماهر عبد القادر :

النص العلمي يحتاج في تحقيقه إلى ثلاث عقليات : عقلية المحقق الذي يقوم بإجراء مقابلات ومقارنات بين النسخ بعد جمعها والحصول عليها ، ولا يشترط فيها سوى الدراية والمعرفة بكيفية المقارنة والمقابلة والتثبت من النسخ . . . إلخ ، أي أنها تخضع إلى مجموعة الشروط العامة الواجب توافرها في المحقق عموماً .

العقلية الثانية هي العقلية المتخصصة في مجال المخطوط ، فمخطوط في الرياضة يحققه متخصص في هذا العلم . . . وهكذا . ومعلوم أن بعض المستشرقين الذين عملوا في هذا المجال قد أعدوا إعداداً كاملاً في تخصصاتهم ، فكانوا أدرى بالنظريات التي تحتويها هذه المخطوطات ، ومن ثم كانوا أدرى بمكانتها ، فاستطاعوا أن يتتبعوا هذه النظريات ويفصلوها ويقيموها . أما نحن فلا نستطيع أن نتحقق أو نتثبت من مثل هذه التفاصيل حتى الآن ، نظرًا لندرة المتخصصين .

ولا ينبغي أن نعمم ، فثمة باحثون ومحققون عرب يملكون مثل هذه القدرات ولهم مساهمات طيبة .

نحتاج ثالثاً إلى مترجم ، وكنت أتحدث منذ قليل مع د. فيصل ود. أمين في هذه المسألة ، مسألة الحاجة إلى مترجم يترجم المخطوط العلمي إلى لغة من اللغات الحية ، سواء أكانت الإنجليزية أم الفرنسية أم الألمانية ، حتى نستطيع أن نعرف العالم بتراثنا وما فيه . بعض النماذج أشرنا إليها في بحث الأمس ، لكن هناك نموذج حديث في نشرة كتاب « مسائل العين » لحنين بن إسحاق ، فقد اشترك في تحقيقه أربعة من الأساتذة الأجلاء ، أستاذاً د. محمد علي أبو ريان ، وهو أستاذ فلسفة وتاريخ علم ، ود. محمد مرسي عرب ، وهو أستاذ أمراض باطنة في كلية الطب

- جامعة الإسكندرية ، ود. جلال موسى ، وهو من محققي التراث ، ثم د. پول غليونجي ، الثلاثة الأوائل قاموا بتحقيق المخطوط في نصه العربي ودراسته . أما پول غليونجي فقام بترجمة المخطوط - نصاً ودراسة - ترجمة كاملة إلى اللغة الإنجليزية ، وقد نشر الكتاب معهد سيما سونيام في الولايات المتحدة الأمريكية .

مثل هذه الأعمال لا ينهض بها إلا المؤسسات ، والأفراد لا يستطيعون أن يقدموا على مثل هذا العمل لتكلفته الباهظة ، بالإضافة إلى روح الفريق ، وهذه هي المسألة التي أشار إليها أ. عصام الشنطي في بحثه ، فقد أكد ضرورة نهوض المعاهد التراثية المنتشرة في البلدان العربية بالأعباء الكاملة لمثل هذه العمليات التي تحتاج إلى إصدار نشرات دورية وعقد مؤتمرات . . . إلخ ، نحن بحاجة إذن لمعرفة النظريات الموجودة في المخطوط العلمي الذي نريد نشره ، ومدى صلة هذه النظريات بالنظريات الغربية .

من الأمور المهمة التي أشار إليها بحث أ. عصام مجموعة المقترحات التي تقدم بها ، فقد أوحى ذلك لي بفكرة معينة : لم لا يقوم معهد المخطوطات العربية بتأسيس جمعية علمية للتراث ، يعد كل المشاركين والمساهمين في هذه الندوة أعضاء مؤسسين لها وتكون عضويتها مفتوحة ؟ وبذلك يمكن أن توفر مناخاً مناسباً لنوع من التعاون بين الباحثين .

■ د. أيمن فؤاد سيد :

لدي بعض الملاحظات على بحث د. عباس سليمان ، منها أنه تحدث عن جمعية النشرات الإسلامية التي تصدرها جمعية المستشرقين الألمان ، وأن المشرف عليها هو هلموت ريتز . والحقيقة أنه مؤسس هذه السلسلة عام ١٩٣١ ، وقد توفي عام ١٩٦١ ، وخلفه في الإصدار الأستاذ ألبرت ديترش ، ثم أصبحت تصدر عن رئيس جمعية المستشرقين الألمان ويعاونه مدير المعهد الألماني للأبحاث العربية بيروت ، ويثبت اسمها على الدورية .

ألبرت ديترش ورد اسمه في البحث على أنه دياترش ، والصحيح هو ديتريش وكان يكتب اسمه على الكتب التي تحتوي على جزء بالعربية هكذا : « ديتريش » ، وهو في الأساس متخصص في علم البرديات .

قضية التخصص في التحقيق التي أشار إليها د. ماهر ، مطلوبة في كل التحقيقات ، فلا يستطيع أحد أن يتصدى لتحقيق كتاب في التصوف وهو غير مشتغل بالتصوف ، أو في الفقه وهو غير مشتغل بالفقه ، لأن القضية ليست ضبط النص فحسب ، بل قضية معرفة المظان ومعرفة الحقائق ومقابلة الأشياء بعضها مع بعض .

أ. عصام قدم لنا بحثاً جيداً كعادته ، وكنت أتمنى أن يكون عنوان بحثه اليوم « جهود المؤسسات العربية والإسلامية في خدمة التراث العلمي » ، لأن من بين المؤسسات السبع التي ذكرها خمساً عربية واثنين إسلاميتين ، فمؤسسة الفرقان تسمى نفسها مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، وفؤاد سزكين يسمي معهده معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت ، كما أن فؤاد سزكين ليس عربياً بل هو تركي مسلم .

وتناول أ. عصام في بحثه بالترتيب معهد التراث العلمي بجامعة حلب ، ومركز التراث العلمي العربي ببغداد ، ومعهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت ، وهذا المعهد أرى أنه المعهد الحقيقي الذي يقوم بدور نشر التراث العلمي وغير العلمي ، وحجم إصداراته حتى سنة ١٩٩٥ يمثلها « الكاتالوج » الذي أصدره المعهد ، ويحدد حجم المخطوطات والمصورات وعدد المطبوعات التي أصدرها المعهد ، سواء عبر سلاسل أساسية أو سلاسل مقارنة ، إضافة إلى سلسلة مهمة جداً هي سلسلة الجغرافيا الإسلامية ، ونحو ٢٥٠ مخطوطة مصورة لأهم مخطوطات المصادر المنشورة وغير المنشورة في المكتبات العالمية ، وبعضها استكمل

مخطوطات موزعة على أكثر من مكتبة ونشرها في طبعة طبق الأصل عن المخطوط الأصلي . ومما أصدره هذا المعهد مجموعة تصل إلى ٢٥٠ عنواناً آخر في الطب الإسلامي ، ومنها طبقات الأطباء والحكماء لأبي داود سليمان بن حسان الأندلسي ابن جلجل ، وهو الكتاب الذي نشره والذي رحمه الله عام ١٩٥٥ ، وصدر عن المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة .

والمؤسسة الرابعة هي معهد المخطوطات العربية الذي نجتمع في كنفه الآن ، وأشار أ . عصام إلى أهمية دوره في نشر التراث العلمي وغير العلمي من خلال نشرات مستقلة ، أو من خلال أعداد مجلته .

ثم الجمعية المصرية لتاريخ العلوم ، وهي جمعية تعنى بالإصدارات التراثية ، ولكن تعنى بدراسة الإصدارات الخاصة بتاريخ العلوم وتطور الفكر الإنساني وتصدر مجلة .

ثم أشار إلى مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن ، وأخيراً مركز بحوث ودراسات العلوم الطبيعية التابع لجامعة القاهرة ، وهو مركز ناشئ ، حتى إنه يفتقر إلى موازنة خاصة ، وخطة واضحة حتى الآن .

الحقيقة أن التوصيات التي ذكرها أ . عصام في غاية الأهمية ، ويجب أن تأخذ مكاناً في التوصيات التي ستخرج بها هذه الندوة ، وعلى الأخص ضرورة تدريس مادة تاريخ العلوم في الجامعات العربية مع عناية خاصة بالحقبة العربية ، وهي توصية أشار إليها جميع المتحدثين .

■ حسن أحمد خليل :

أشار أ . عصام إلى ضرورة أن تخرج المؤسسات من حدودها الأكاديمية إلى طبقة المثقفين والدارسين والشباب والجمهور ، وتقدم لهم دراسات التراث العلمي بأسلوب مبسط ، وأنا أتساءل : هل نحن الآن بحاجة إلى التبسيط أم إلى النشر ؟

■ عصام محمد الشنطي :

التراث الإسلامي تراث عربي ثم إسلامي من جانب آخر ، فارسي أو تركي أو غيره ، وعلى العموم أنا لم أضع عنوان البحث وإنما من قام بوضعه هو المعهد ، والفصل غير ممكن ، فالإسلام لا ينفصل عن العروبة ، ولكن من وضع هذا العنوان وضع الندوة أصلاً وهو المعهد الناشئ والمنبثق عن جامعة الدول العربية ، وأعتقد أن العنوان ليس بخطأ وليس بحاجة إلى تعديل أو إضافة . فمؤسسة الفرقان بلندن للدراسات الإسلامية هي أيضاً مؤسسة عربية ، التراث العربي واللغة العربية ينصب عليهما جل إنتاج مؤسسة الفرقان ، فهي إذن عربية من ناحية دائرة اهتمامها وعملها .

عندما قلت : إن المؤسسات تخرج إلى الجمهور والمثقفين لم أكن أعني أن تتوقف عن عملها الأساسي ، فلا بد أن يستمر الخط الأول . نحن بحاجة إلى خط مواز يخرج إلى الشارع يقدم الثقافة العلمية العربية المبسطة ، وليس في ذهني طريقة للتبسيط ، ولكن لا بد من تكوين لجنة متخصصة لتنتهي إلى طريقة ، وبالطبع الطريقة المبسطة التي تصلح للجمهور قد لا تصلح للمثقف ، نريد تبسيطاً ذا مستوى أعلى للمثقف ، ولكن هذا لا يعطل الخط الأساسي لتحقيق النصوص أولاً ، ثم دراستها وربطها ببعضها ، لبناء تاريخ دقيق ومنهجي للتراث العلمي العربي .

* * *